

الرحلة العلميّة للفقير مخلوف البلبالي وآثارها الحضارية على بلاد الهوسا بشمال نيجيريا (من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م)

The scientific expedition of Faqih Makhluḥ Al-Balbali and its civilizational effects on the Hausa country in northern Nigeria.(From 10H/16C to 13H/19C)

يدر بن عبد الله جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر) benab200@outlook.fr	محمد فثحة* جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة (الجزائر) m.fatha@univ-dbkm.dz
---	---

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2021/..../..	2021/11/14	2021/10/15

الملخص: يتناول هذا المقال، بالدراسة والتحليل، أحد أعلام الصّحراء الجزائريّة من خلال الإجابة عن الإشكاليات الآتية: من هو الفقيه مخلوف بن صالح البلبالي؟ وإلى أي مدى ساهمت رحلته العلميّة مطلع القرن (10هـ/16م) في إثراء بعض الجوانب الحضاريّة في بلاد الهوسا بشمال نيجيريا؟ وفيما تتجلى انعكاسات تلك الرحلة على علماء الدّولة الصّكّيتية؟

شمّلت رحلة البلبالي حاضرة "تيلبالا" التي شيد فيها "قصر مخلوف" وجلب إليها الكثير من الكتب، أمّا "تمبكتو" بمالي فقد قصدّها لطلب العلم لأنّها كانت أندلس زمانها، وتأثيره الأبرز كان في مدينتي "كانو" و"كاتسينا" الواقعتان في بلاد الهوسا بشمال نيجيريا، أين كان لهذا الفقيه إسهامات حضارية رصدت على مدار ثلاثة قرون، تمثلت في نشر الإسلام وتعزيز انتشار المذهب المالكيّ، وتدريس اللّغة العربيّة، ومزاولة القضاء، أما الفتوى المشهورة له حول تجارة رقيق بلاد السّودان، أصبحت مرجعا يعتمد عليه علماء تلك المنطقة في بيان حكم المسألة، ومن جملة من تأثروا بها علماء الدّولة الصّكّيتية، التي تأسست في مطلع القرن (13هـ/19م) وعلى رأسهم الشّيخ عثمان بن فودي. لنصل للهدف العام للبحث، والمتمثل في تأكيد التّواصل والتّأثير الحضاري لعلماء المغرب الأوسط في منطقة السّاحل الإفريقيّ.

الكلمات المفتاحية: مخلوف البلبالي؛ التّأثير الحضاري؛ بلاد الهوسا؛ عثمان بن فودي؛ تيلبالا.

Abstract

This article tackles, through study and analysis, one of the scholars of the Algerian Sahara by answering the following problems: Who is the Faqih Makhluuf Ben Salah Al - Balbali? To what extent did his scientific journey in the beginning of the (10H/16C) century enrich some aspects of civilization in the Hausa country in Northern Nigeria? And what are the implications of that journey for the scientists of the Sokoto State?

Al Balbali's trip included Tabelbala, in which he constructed a "Makhluuf Palace" and he brought many books to it. However, he went to Timbuktu in Mali to seek knowledge because it was Andalusia in its time. And its prominent influence was in the cities of "Kano and Katsina" located in the Hausa country in Northern Nigeria, where the Fakih has had civilizational contributions that were monitored over the three centuries, represented in spreading Islam and promoting the spread of Maliki school of thought, teaching the Arabic language and the practice of the judiciary. As for his well - known advisory opinion on the slave trade in Sudan, it has become a reference for the scholars of that region to rely on in clarifying the ruling of the issue. Among those who were influenced by it, the scholars of the Sokoto State, which was founded at the beginning of the century (13H/19C), headed by Sheikh Uthman Bin Foduye. Then, we will reach the overall objective of the research, which is to confirm the communication and civilizational influence of Central Maghreb scholars in the African Coast.

Key Words: Makhluuf Al-Balbali ; Civilizational impact; The Country of Hausa; Uthman Bin Foduye; Tabelbala.

مقدمة:

الباحث في التاريخ الحضاري لبلاد السودان الغربي، يجد أنه كان قبلة للعلماء والفقهاء والدعاة والواعظين، وإليه تشد الرحال ذهابا وإيابا من مختلف بقاع العالم الإسلامي، وبحكم القرب الجغرافي لهذا الإقليم من المغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط بصحرائه خصوصا، فقد انفرد من هذا الأخير ثلة من العلماء والفقهاء بالرحلة العلمية التي تميزت بالاستقرار في العديد من حواضر الصحراء الكبرى والسودان الغربي، مثل تمبكتو⁽¹⁾ و مدن بلاد الهوسا على غرار كانو⁽²⁾ وكاتسينا⁽³⁾، واهتم هؤلاء العلماء والفقهاء بقضايا السودان الغربي المتعلقة بنشر تعاليم الدين

الإسلامي، ومحاربة البدع والفساد، ونصح الحكام والأمراء، ومزاولة مهنة التدريس والتّعليم، وجلب الكتب، وممارسة مهنة القضاء.

من بين علماء المغرب الأوسط، من الذين كان لهم أثر وإسهامات في الجانب الحضاري بواسطة الرحلة العلمية في الصحراء الكبرى وبلاد السودان الغربي، نجد أن أشهرهم هو الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت. 909هـ/1504م)، أما الحافظ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي (المتوفى في حدود 950هـ/1543م) فهو واحد منهم، حيث حذا حذو المغيلي، وارتحل إلى العديد من حواضر الصحراء الكبرى والسودان الغربي، وينسب إلى مدينة تيبلبالة إحدى حواضر صحراء المغرب الأوسط (مدينة بشار الجزائرية حاليا)، غير أنّ المصادر التاريخية المتاحة الآن للباحثين لم تنصف الرجل، ولم أقف إلّا على بعض الإشارات هنا وهناك حول الجهود التي قام بها خاصّة في بلاد السودان الغربي.

تسعى هذه الدراسة إلى إبراز بعض الآثار الحضارية لرحلة الحافظ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي؛ وانعكاساتها على مختلف الأقاليم التي زارها في حواضر الصحراء الكبرى ومدن السودان الغربي، حيث ساهم في نشر الإسلام، وترسيخ المذهب المالكي، ومزاولة مهن التدريس والإمامة والقضاء، والفتوى المشهورة له حول حكم تجارة الرق في بلاد السودان، أصبحت مرجعية علمية استعان بها بعض العلماء من بعده لتوضيح حكم نازلة تجارة الرق، وفي مقدمتهم الشيخ عثمان بن فودي مؤسس الدولة الصّكتية.⁽⁴⁾ فالبحث في هذه النقاط يعدّ حلقة مهمة من حلقات التاريخ الوطني، خاصّة فيما يتعلّق بالقضايا التي تبرز مكانة المغرب الأوسط كمساهم في صناعة التاريخ الإسلامي من الجانب الحضاري بواسطة علمائه، وتأكيد صلته الثقافية مع الأقاليم المجاورة.

وقوفا عند أهمية هذا الموضوع الذي لم ينل قدرا كافيا من الدراسات، وقصد معالجته بطرح التساؤلات الآتية: من هو الفقيه مخلوف بن صالح البلبالي؟ وإلى أي مدى ساهمت رحلته

العلمية في إثراء بعض الجوانب الحضارية في بلاد الهوسا بشمال نيجيريا؟ وفيما تتجلى انعكاسات تلك الرحلة على علماء الدولة الصُكُتية بصفة خاصة؟

جاء هذا البحث في محورين: أولهما لمحة موجزة عن الفقيه مخلوف البلبالي، والثاني يرصد مسار رحلة البلبالي في حواضر الصحراء الكبرى، وآثارها الحضارية على بلاد الهوسا، وكلّ محور يعالج مجموعة من النقاط التي تصبّ في خانة الإجابة عن إشكالات الموضوع، الذي لا يزال مجالا خصبا للبحث والتّفتيح في أمهات الكتب خاصة المخطوطة منها، وقد اعتمدنا على بعض المصادر والمراجع المتعلّقة بالموضوع، ومن جملة هذه المصادر كتابي «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» و «معراج الصّعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق» لأحمد بابا التّنكيتي (ت. 1036هـ/1627م)، ومخطوطات لعلماء الدولة الصُكُتية مثل الشّيخ عثمان بن فودي وشقيقه عبد الله، وأبرز مرجع خدم هذه الدراسة كتاب «نبذة مختصرة من تاريخ تيبالة» للباحث عبد الله حمادي الإدريسي.

أولا: لمحة موجزة عن الفقيه مخلوف البلبالي وحياته العلمية:

1. التعريف بحاضرة تيبالة:

تيبالة أو تبلت هي إحدى حواضر الصحراء الكبرى في ضفتها الشمالية الغربية، ولها ينسب الفقيه مخلوف بن صالح البلبالي، حاليا دائرة تتبع إداريا لولاية بشار بالجنوب الغربي الجزائري، كما أنّها عبارة عن واحة بطول 5 كلم عام (1908م)، تقع على علو 525 متر على مستوى سطح البحر، وعلى سفح جبل تدموست البالغ ارتفاعه 736 متر،⁽⁵⁾ عرفت هذه المنطقة بتواجد عدة قصور تاريخية بعضها اندثر مثل قصر مخادة قاخدايو، قصر إديران، قصر ماينسكاف، قصر أنكاف، قصر القليعة، قصر البليدة، قصبة كرون، قصر سراحنة، قصر تنادة، قصر تيتارسنت، قصر تكانت، أما القصور القائمة لحد الآن نجد القصر الكبير أو زاوية سيدي زكري أو قصر المرابطين، وقصر مخلوف، وقصر الشراعية.⁽⁶⁾

حسب الدّراسة الّتي أعدّها عبد الله حمادي الإدريسي في كتابه «نبذة مختصرة من تاريخ تلبالة» فإن تسمية «تلبالة» تطوّرت وتغيّرت عدّة مرات عبر الزّمن، حيث خلص إلى أن تلبالة كانت تسمى قديما «تلببارت» ثمّ صارت تسمى «تلببال» ثمّ صارت تسمى «تلببارت» ثمّ صارت تسمى «تلببارت» أو «تلببالت» ثمّ صارت تسمى «تلبالة» وهي تسميتها حاليا،⁽⁷⁾ والمصادر الّتي ارتكز عليها في هذه الدراسة أغلبها من كتب الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الصحراء الكبرى وكتبوا عنها.⁽⁸⁾

ورد ذكر اسم تلبالة باسم تَبْلَبْلَتْ عند الرّحالة الجغرافيّ المعروف بليون الإفريقي الحسن بن محمد الوزان (ت. 961هـ/1554م) في كتابه «وصف افريقيا» حيث قال عنها: "تَبْلَبْلَتْ: هو مكان مأهول في وسط صحراء نوميديا، على بعد نحو مائتي ميل من الأطلس، ومائة ميل جنوب سجلماسة، وهناك ثلاثة قصور عامرة بالسّكان، وأراضيها الصّالحة للفلاحة مغروسة بالتّخيل، الماء فيها قليل وكذلك اللّحم، وتؤكل فيها النّعام والوعول الّتي تصاد، ورغم أن القوم يتجرون مع بلاد السّودان فإنّهم فقراء لكونهم خاضعين للأعراب".⁽⁹⁾

نجد أنّ الرّحالة العلامة المغربي الشّهير بالسّراج والملقّب بابن مليح في رحلته الحجّية من عام 1040هـ/1630م، إلى غاية (1042هـ/1633م)، والّتي صنّف لها كتاب وأطلق عليها اسم أنس السّاري والسّارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعراب صلى الله عليه وسلم، هذه الرّحلة انطلق منها من مدينة مراكش ومر بمدينة تيبالة، وصف هذه الأخيرة بقوله: "ثمّ لبلاد تابلبالت وهما مدشران كثيرا الرّعي والخصب، والماء الزّلال العذب ذات عيون جارية وحدائق مثمرة زاهية من رملة دقيقة صافية تديرها الرياح من نواحيها وتجمعها لمناحيها...".⁽¹⁰⁾

أمّا لسانهم فقد قال عنه ابن السّراج: "أهلها بربر اللّسان يفتقد في مخاطبتهم إلى ترجمان"،¹¹ ويطلق اسم اللّغة الكرونجية⁽¹²⁾ على لهجة تلبالة الّتي اهتم العديد من الباحثين بها،

فوجدوها خليط من العربيّة والبربريّة ذات غنة سودانية مثل لغة أهل تمبكتو بمالي الحالية من بلاد السودان الغربي. (13)

2. اسمه وتاريخ مولده ووفاته:

هو الفقيه والقاضي والرحالة مخلوف بن علي بن صالح الانصاري المولود بتبالة قبل سنة: (900هـ/1495)، وقد عرف باسم مخلوف البلبالي ويكنى بعبيد الله⁽¹⁴⁾، ولم يرد في المصادر المعتبرة التي ترجمت لحياته تاريخ ميلاده أو تاريخ وفاته على وجه التحديد، أمّا عن وفاته فقد ورد أن الشّيخ كان كثير التّرحال بين مدن المغرب الإسلاميّ والصّحراء الكبرى وبلاد السودان الغربيّ، وفي إحدى رحلاته العلميّة إلى مراكش تعرض فيها إلى السّم - ولم تشر هذه المصادر هل كان بقصد أم غير قصد - وبعدها رجع إلى بلاده تبالة وتوفى بها بعد سنة 940هـجري. (15) أمّا العلامة المغربي عبد الكبير المجذوب الفاسي (ت. 1295هـ/1878م)، فقد ذكر في كتابه «تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين» في حديثه عن وفيات عام (950هـ/1543م) قائلاً: "وتوفى مخلوف البلبالي في حدودها أيضاً" (16).

3. طلبه للعلم:

أشارت المصادر التاريخية التي وقفت عليها أنّ الفقيه مخلوف بن صالح البلبالي بدأ رحلة طلب العلم والاشتغال به على كبر في السن وقد مارس التجارة كذلك، وأوّل شيوخه عبد الله بن عمر بن محمد أقيت⁽¹⁷⁾ من ولاته⁽¹⁸⁾ حيث قرأ عليه الرسالة⁽¹⁹⁾، ولما رأى منه نجابة حضّاه على العلم فرغب فيه،⁽²⁰⁾ كما تعدّدت المعاهد العلميّة التي ارتحل إليها وحضر مجالس شيوخها وتعلّم منهم، فقد رحل إلى المغرب الإسلاميّ ونزل بفاس وهناك التقى بالشّيخ ابن غازي⁽²¹⁾ وغيره وأخذ عنهم ما تيسر من العلم،⁽²²⁾ ومن بين هذه المعاهد نجد أيضاً الأزهر الشريف، حيث أشار الباحث محمد عبد العظيم الخولي في كتابه «الأزهر الشريف والسودانيون في العصر المملوكي»، إلى أن مخلوف البلبالي جاء إلى مصر ودرس في الأزهر الشريف،⁽²³⁾ وحتى

معاهد تمبكتو التي كانت تعيش حياة علمية متقدمة في تلك الفترة، فقد ارتحل إليها الشيخ ليتعلم، ويحتك بذلك الخليط الهائل من العلماء من مختلف البلاد الإسلامية مثل علماء الأندلس والسودان والمغرب ومصر وغيرهم،⁽²⁴⁾ وقال عنه أحمد بابا التنبكتي في كتابه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» يصف علمه ويمدح قوة حفظه قائلاً: "وانتشر علمه واشتهر بقوة الحافظة حتى ذكر عنه فيه العجب حتى قيل إنه يحفظ صحيح البخاري".⁽²⁵⁾

4. علاقته بعلماء عصره وموقفهم منه:

كل عالم مجتهد يلقي قبولاً أو رداً لبعض اجتهاداته الفقهية، وهذا الأمر غير جديد عن مجتهد الفقه المالكي، ومن العلماء الذين خالفوا البلبالي في بعض فتاويه واجتهاداته، نجد مثلاً الفقيه المالكي محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليسيتي الفاسي⁽²⁶⁾، حيث قام بتأليف كتاب في مجال فقه الطهارة للرد على نظيره مخلوف البلبالي، بعدما أنكر هذا الأخير طهارة بول المريض عندما يكون بوله بأوصاف الماء دون تغيير فيه في كتاب، ومُصنف محمد اليسيتي الفاسي جاء بعنوان «الرد على مخلوف البلبالي في إنكاره القول بطهارة بول المريض الذي باله بأوصاف الماء بلا تغيير»، غير أن المؤلفان المذكوران لم نجد لهما أي أثر بين الكتب المحققة أو بين المخطوطات المفهرسة، خاصة مؤلف البلبالي الذي لم يذكر في أي مصدر سوى إشارة بسيطة حول موضوعه وليس عنوانه جاءت من قبل أحمد بابا التنبكتي في كتابه نيل الابتهاج أثناء ترجمته لعبد الرحمن اليسيتي الفاسي، حيث قال: "والرد على مخلوف البلبالي في إنكاره القول بطهارة بول المريض الذي باله بأوصاف الماء بلا تغيير، وكان مخلوف ألف فيه تأليفاً رد به على من نقل طهارته سلك فيه طريقة المعقول فناقضه".⁽²⁷⁾

وقعت للفقير مخلوف البلبالي منازعة في مسائل مع العاقب بن عبد الله الانصمي⁽²⁸⁾ أحد فقهاء المالكية من بلاد السودان الغربي، غير أن نوع المسائل وموضوعها لم ترد في المصادر التي ترجمت للفقهاء، بل وردت إشارة عن هذه المسائل التي تنازع فيها الفقهاء بشكل

مقتضب في كتاب نيل الابتهاج لأحمد بابا التّبكتي حيث قال: "أخذ عن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وعن الإمام السيوطي لما حج وغيرهما، ووقع له منازعة مع الحافظ مخلوف البلبالي في مسائل". (29)

ثانيا: مسار رحلة البلبالي في حواضر الصّحراء الكبرى، وآثارها الحضاريّة على بلاد الهوسا:

1. حاضرة تلبالة:

الفقيه مخلوف البلبالي عرف بترحاله الدائم بين حواضر المغرب الإسلامي والصّحراء الكبرى وبلاد السودان، وبما أن حاضرة تلبالة التي ينسب إليها لم يتركها دون أن يخلف فيها أثرا مازال شاهدا على نشاطه الكبير، ويتمثل هذا الأثر في تأسيسه لقصر مخلوف⁽³⁰⁾، والقصور في الصّحراء عادة ما تتميز بوجود زوايا لطلب العلم، وتكون في واقعها محطات تجارية في طرق القوافل التي تجوب الصّحراء الكبرى، ويسكنها أناس أصولهم متعدّدة، وقد نقل حمادي الإدريسي رواية شفوية عن المؤرخة الفرنسية دومينيك شومبو مفادها أن الشيخ أبو زكري أعطاه موضعا بني فيه قصره الذي عرف باسمه فيما بعد "قصر مخلوف" فسكن معه بعض النّاس إلا أن الماء بهذا القصر مالح وليس عذبا كماء زكري.⁽³¹⁾

عرف الفقيه مخلوف البلبالي في تلبالة بأنّه كان رجلا عالما محبّا للعلم وأهله وكتب العلم حتّى قيل أنّه جلب معه من بلاد أروان السّودانية في إحدى رحلاته إليها أربعين حمل بعير من الكتب والتي كان يعتبرها أغلى من الذهب، ولكن كما يحكى أتلّفها بعد وفاته أحد الفقهاء بالبلاد اسمه أحمد الخضر مخافة أن تقع بين أيدي الجهلة فيستفيدون منها فينافسونه في علمه ووجاهته.⁽³²⁾

يضيف المؤرخ حمادي الإدريسي أن الفقيه مخلوف البلبالي وبنوه من بعده كانوا محل عناية واحترام من أعيان ورجال السّياسة والسلاطين بالبلاد المجاورة، ودليله على ذلك وجود ظهائر

سلطانية من بينها ظهور مؤرخ بتاريخ رجب عام 943هـ/1537م وفيه: "إلى ابن الفقيه شاعر الشعراء سيدي مخلوف المخلوفي"، وفي ظهور سلطاني آخر مؤرخ بتاريخ عام 988هـ/1583م وفيه: "إلى ابن الفقيه مخلوفي".⁽³³⁾

2. رحلته إلى مدينة تمبكتو:

رحلة البلبالي إلى مدينة تمبكتو لم تكن بهدف التدريس أو القضاء أو نشر الإسلام، وإنما كانت بهدف طلب العلم والتفقه على يد بعض مشايخها، لأن تلك المدينة أصبحت قطبا حضاريا بها العديد من المعاهد العلمية التي لا تقل شأنًا عن باقي معاهد بلاد المغرب الإسلامي، وأصبحت تمبكتو محجًا للعلماء وطلبة العلم، وهذا يرجع إلى الاهتمام الكبير من سلاطين مملكة مالي، ومن بينهم منسى موسى الذي حرص على تشجيع البعثات العلمية إلى حواضر العلم في شمال إفريقيا، فعلى سبيل المثال أرسل العالم كاتب موسى -الإمام والمدرس- بجامع تمبكتو إلى فاس، ليتلقى مزيدا من العلوم الإسلامية.⁽³⁴⁾

كانت رحلة البلبالي إلى تمبكتو بمثابة تحول جوهري في شخصيته العلمية، فيها اختلط بالسودانيين عن قرب واحتك بهم، بل أصبحت تمبكتو قاعدة وصلها لطلب العلم على مشايخها ثم انطلق منها إلى مدن السودان المجاورة لها بصفته عالما، يذكر الدكتور حماد الله ولد السالم في هامش كتاب تاريخ السودان للسعودي الذي قام بتحقيقه القول التالي: "وذكرت المصادر أنّ أهم بعثة تعليمية جاءت من تمبكتو المالية إلى بلاد الهوسا والبرنو، هي البعثة الونغارية، وكان أفرادها من ركائز معاهد تمبكتو، وأخذ العلماء التّمبكتيون منذ ذلك الحين يتوافدون على بلاد الهوسا والبرنو، أمثال الفقيه مخلوف البلبالي و التازخني، ومنهم من أسس معاهد تعليمية في هذا الإقليم، مثل معهد الحنبلين في كاتسينا".⁽³⁵⁾

3. الآثار الحضارية لرحلة الفقيه البلبالي على بلاد الهوسا بشمال نيجيريا:

إسهامات الفقيه مخلوف البلبالي في بلاد الهوسا غزيرة مقارنة مع باقي المدن التي ارتحل وحل بها في الصحراء الكبرى وبلاد السودان الغربي، ولعل أهم إسهاماته كانت في مدينتي كاتسينا وكانو، وتركزت آثاره الحضارية في جهوده في نشر الإسلام، وتعزيز تواجد المذهب المالكي في تلك المنطقة، وكذلك موازنة مهنة التدريس لمختلف العلوم الدينية وخاصة تعليم اللغة العربية، كما أن اجتهاداته الفقهية لقيت صدى واسع خاصة فتواه المشهورة حول نازلة مجلوبي السودان.

1.3. إسهامات الشيخ في نشر المذهب المالكي:

عوامل انتشار المذهب المالكي في بلاد الهوسا عديدة، ولعل من أبرزها دور العلماء والتجار والدعاة والدول الإسلامية التي قامت في بلاد السودان، ونشاط مخلوف البلبالي في تعزيز المذهب المالكي بندرج ضمن دور العلماء والدعاة فهو واحد منهم، ويرى الباحث صالح أكنوي أن من بين الفقهاء والأعلام الذين رحلوا إلى نيجيريا الحافظ مخلوف البلبالي، الذي كان في كانو وكاشنة وغيرهما من المدن النيجيرية، ويرى بأنه أفاد أهل نيجيريا كثيرا، وبأنه واحد من فطاحل العلماء الذين دخلوا بلاد الهوسا، وساهموا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في نشر المذهب المالكي وتوطيد أركانه فيها.⁽³⁶⁾

2.3. تدريس اللغة العربية:

الحديث عن عصور اللغة العربية ومراحل تطورها في دولة نيجيريا حاليا وبلاد الهوسا سابقا، نجد أن عصر المغيلي من أهم هذه العصور، فخلاله انتقلت اللغة العربية من مجرد كلمات يتقنها البعض إلى لغة للعلم والتعليم، وتشير العديد من المراجع إلى أن من بين العوامل التي ساعدت على انتشار التعليم العربي الإسلامي في بلاد الهوسا خلال القرن الرابع والخامس عشر ميلادي، هي زيارة الوفود والأفراد لبعض ممالك الهوسا والتي بدأ أثرها يظهر منذ ذلك القرن، فعلماء ذلك العصر يتنقلون من بلد إلى آخر، طلبا للعلم والتماسا للرزق والحياة، فإذا سمعوا بمركز علمي أو تجاري قصده واتفقوا بعلمائه وملوكه، وإن طابت لهم الإقامة أقاموا

والتف حولهم طلبة العلم وأخذوا منهم واستفادوا، وربما ارتحل معهم الطلبة لنهل من علمهم أكثر، وبما أن كانوا وكاتسينا مركزين للعلم والتجارة فقد كثر الزوار فيها وفودا وأفرادا.⁽³⁷⁾

أشار أحمد بابا التنبكتي (ت. 1036هـ/1627م) في كتابه «نيل الابتهاج بتطريز الدّباح» أنّ الفقيه مخلوف البلبالي زاول مهنة التدريس في كانو و كاتسينا لما حلّ بهما حيث قال: "ثمّ دخل بلاد السودان كبلد كنو وكشنا وغيرهما وأقرأ أهلها"⁽³⁸⁾، والواضح أن الإقراء هنا يقصد به التدريس، وفي الغالب سيكون تدريس العلوم الدينية، ومن أجل أن يرسّخ هذا الدين أكثر بين السودانيين لابدّ من تعليمهم العربية حتّى يسهّل عليهم فهم الدين وتدرّسه بأنفسهم، ويشير إلى هذا الأمر كذلك الباحث محمد عبد العظيم الخولي بأن مخلوف البلبالي كان له دور كبير في تعليم اللّغة العربيّة في كانو.⁽³⁹⁾

3.3. فتوى مخلوف البلبالي حول رقيق السودان:

وجد الفقيه مخلوف البلبالي المجتمع السوداني يعيش حالة من الفوضى على السّاحة الدّينية، على غرار فقه التّوازل، فحكم تجارة الرّق من بين تلك النّوازل التي تركت جدلا كبيرا بين الفقهاء ، وحتّى بين عوام السودانيين أنفسهم، نظرا لارتباطها بهم بشكل مباشر، فهم مصدر هذه التّجارة وسلعتها، وبما أنّه فقيه مجتهد فقد تصدر المشهد خلال القرن (10هـ/16م)؛ بفتوى مشهورة له عن حكم مجلوبي السودان، وردت الإشارة لهذه الفتوى في كتاب «معراج الصّعود إلى نيل حكم مجلب السّود»، أو «الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان»⁽⁴⁰⁾، وهذا المصنّف لأحمد بابا التنبكتي (ت. 1036هـ/1627م)، وموضوعه حول نوازل الاسترقاق الخاصّة بأهل السودان الغربيّ، التي كانت موردا للعبيد إلى الضّفة الشّمالية للصحراء الكبرى وغيرها من البلاد، ومن المصادر التي اعتمد عليها التنبكتي في تصنيف هذا الكتاب نجد الفتوى المشهورة لمخلوف البلبالي.

أما عن ظروف إصدار هذه الفتوى، فيرجح أنها كانت لما زار مدن شمال نيجيريا، فدولة كاشنة المسلمة من بين المناطق التي ارتحل إليها مخلوف البلبالي، حيث تأسست هذه الدولة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي، وأصبحت في عهد سلطانها الثالث المدعو بالمرابط (1498-1524م) محجة للعلماء والمصلحين من كافة الأقطار الإسلامية، أمثال محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وغيره،⁽⁴¹⁾ ثم انتقل مخلوف البلبالي إلى كانو التي دخلها الإسلام قبل ذلك عن طريق التجار النوبيين،⁽⁴²⁾ ليشهد تأسيس أول دولة إسلامية فيها أواخر القرن الخامس عشر هجري، ويرجح أنه من المساهمين في ظهور هذه الدولة وأنه مارس القضاء و التدريس فيها، وقد أصبحت عاصمتها مدينة كانو مركزا علميًا يتسابق العلماء المسلمون للتدريس به والتصدر للأحكام فيه.⁽⁴³⁾

❖ نصّ الفتوى:

"الجواب في مسألة الرقيق: أما الرقيق فأصله الكفر، وكفار السودان كهؤلاء التصاري إلا أنّ السودان مجوس. أما من كان منهم مسلماً، كأهل كنو وبعض زرك و أهل كشنة وأهل كوبر وجميع سغي، كلّهم مسلمون، فلا يجوز تملكهم. وكذلك فلان كلّهم، إلا أنّهم يتنازعون ويغير بعضهم على بعض ويبيع بعضهم بعضاً ويحلل بعضهم بعضاً بالغايرة والظلم والتعدي كالعرب الذين يعتدون على أحرار المسلمين فيبيعونهم ظلماً، فلا يحلّ تملك شيء منهم. ومن عرف منهم أنّه من تلك البلاد المعروفة بالإسلام، كما ذكرنا وذكر أنّه من تلك البلاد فيترك سبيله ويحكم له بالحرية حسبما أفتى به فقهاء الأندلس، كابن عتاب وغيره، ولم يخالفهم في ذلك إلا ابن لبابة، وبنحو هذا قضى حكام أهل فاس، ويمثل هذا قضى سيدي محمود قاضي تنبكت، وهو يقبل قولهم من غير أن يكلف إثبات كونهم من تلك البلاد. ومن يتحرى السلامة لنفسه فلا يشتري منهم إلا من يسمي بلاده وينظر هل هو من تلك البلاد أم لا، يعني من بلاد الإسلام أو بلاد الكفار، وهي مصيبة عظيمة

عَمَّتْ بِهَا الْبَلَوَى فِي هَذَا الزَّمَانِ فِي الْبِلْدَانِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَبِهَذَا أَجَابَ عبيد الله مخلوف بن صالح سَمِعَ اللَّهُ لَهُ. (44)

يمكن اعتبار هذه الفتوى نصًا مؤسسًا في الفقه المالكي ومصدرًا أساسيًا من مصادر تاريخ بلاد السودان في الفترة الفاصلة بين العصور الوسطى والحديثة، وفيها إشارات إلى أن بعض البلاد السودانية مثل كانو وكاتسينا وزكرك وجويير وغيرها، كانوا على ملة الإسلام في النصف الأول من القرن العاشر هجري.

4.3. تأثير رحلة البلبالي على علماء الدولة الصُكْتِيَّة:

ظهرت الدولة الصُكْتِيَّة في منطقة الهوسا بشمال نيجيريا عام (1218هـ/1804م)، نتيجة للحركة الإصلاحية والتجديدية التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي، وهذا الأخير يعتبر واحدا من أبرز رجال الدين والفكر والسياسة في منطقة أفريقيا الغربية، حيث خلف هذا الرجل مصنفات غزيرة في شتى أصناف العلوم الإسلامية، فقد نشر الباحث «W. E. N. Kensdale» من جامعة إبادان النيجيرية عام (1954م) عدة مقالات عن المخطوطات العربية التي تم اكتشافها بمنطقة شمال نيجيريا، وقدم قائمة تضم خمسة وثمانين (85) مخطوطا لعثمان بن فودي،⁽⁴⁵⁾ وقدم الباحث «Isma'il A.B. Balogun» عام 1973م، قائمة تضم (115) مؤلفا من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي.⁽⁴⁶⁾ ويرجح أن مصنفاته في حدود مائة وخمسون (150).

وتأثيرُ البلبالي شمل كذلك واحدا من أبرز علماء الدولة الصُكْتِيَّة، ونقصد هنا الشيخ عبد الله بن فودي (ت. 1244هـ/1829م) شقيق الشيخ عثمان، ورفيق دربه في طلب العلم، ووزيره، ومن أشهر تلامذته، بل حتى أنه أخذ عنه الفقه المالكي،⁽⁴⁷⁾ ومؤلفات عبد الله بن فودي كثيرة تقدر بحوالي مائة وسبعون (170) مصنفًا، وله غزارة في التأليف أكثر من شقيقه عثمان بن فودي.⁽⁴⁸⁾

رغم الفترة الزمنية التي ارتحل فيها الفقيه مخلوف بن صالح البلبالي إلى بلاد الهوسا، إلا أن آثار رحلته العلميّة استمرت لعدة قرون من بعده، ويتجلى ذلك من خلال الاطّلاع على مصنّفات علماء الدّولة الصّكّية، فتجد أنّهم رجعوا للفقيه البلبالي واستدلّوا بالفتوى المشهورة له حول مسألة تجارة الرّق، من أجل بيان حكمها، وخلال تتبع بعض من مؤلفات هؤلاء العلماء، وقفت على نماذج من تأثرهم الواضح بالفقيه مخلوف البلبالي يمكن عرضها فيما يلي:

خلال حركة الشّيخ عثمان بن فودي الإصلاحية، وجد نفسه مضطرا لتوضيح مسألة حكم تجارة الرق سؤاله عن من يجوز استرقاقه في هذه البلاد، التي كثر فيها بيع الأحرار، ومن لا يجوز استرقاقه؟. وفي جوابه قسم البلاد السّودانية على ثلاثة أقسام، واستدل بقول البلبالي حيث قال: "القسم الثالث: البلاد التي لا نعرف حكمها، هل يحكم بأنّها من بلاد الإسلام أو من بلاد الكفر. انتهى. وقال الفقيه الحافظ مخلوف البلبالي: "أن من يتحرى السّلامة لنفسه فلا يشتري إلّا من يسمي بلاده وينظر هل هو من بلاد الإسلام أو من بلاد الكفر"⁽⁴⁹⁾.

استدل الشّيخ عثمان بن فودي مرة أخرى بفتوى الفقيه مخلوف البلبالي، ونجد ذلك في الفصل التّاسع والثلاثون ضمن كتابه «بيان وجوب الهجرة على العباد»، في بيان: حكم من وجد في أيدي الكفار مستعبدا وادعى أنّه حرّ مسلم لم يهاجر، وحكم من جلب من بلد كثر فيه بيع الأحرار وادعى أنّه حرّ مسلم. حيث استدل الشّيخ عثمان بن فودي بكلام محمد بن عبد الكريم المغيلي في أجوبته على أسئلة الأمير الحاج أسكيا، ثمّ جاء بكلام من كتاب المعيار للونشريسي، وبعدها استدل برأي يوافق فيه البلبالي، حيث قال: "كان الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت يحكم في وقته لمن يدعي الحرية منهم وينزعه ممن في يده حتّى يثبت الملكية، وإلّا حكم بحريته منه وبه أيضا وأفتى الفقيه الحافظ المخلف البلبالي. ثمّ قال ابن لبابة: البينة على مدعي الحرية". ثمّ خرج ابن فودي بالرأي الآتي بخصوص هذه المسألة: وحالات أهل هذه البلاد السّودانية كما في الكتاب المذكور متقاربة، ولا يفرق بعضهم من بعض إلّا هذا مسلم

أصلي، وهذا كافر أصلي ومن منا يلتبس الحال على من جلبوا إليهم، فلا يعرفون حقيقة المجلوب. (50)

رجع ابن فودي مرة أخرى إلى فتوى الفقيه مخلوف البلبالي، وهذه المرة ضمن كتاب «المسائل المهمة»، في المسألة الحادية عشر التي بين فيها حكم شراء المجلوبين من البلاد التي فشا إسلامهم وشاع، حيث ذكر أنها على ثلاثة أقسام: الأول: البلاد التي لم يتقرر إسلام أهلها، والثاني: البلاد التي تقرر إسلام أهلها، والثالث: البلاد التي لا يعرف حكمها هل يحكم بأنها من بلاد الإسلام أو بلاد الكفر لأنه لا يعرف ذلك أصلاً، وجاء بفتوى البلبالي في بيان حكم القسم الثالث إذ قال: "وأما المجلوب من القسم الثالث فقد قال فيه الفقيه الحافظ مخلوف البلبالي أن من يتحرى السلامة لنفسه فلا يشتري إلا من يسمي بلاده وينظر هل هو من بلاد الإسلام أو من بلاد الكفر". (51)

ومن جملة علماء الدولة الصُكُتية الذين تأثروا بالفقيه الحافظ مخلوب البلبالي نجد الإمام عبد الله بن فودي، فخلال حديثه عن مسألة الرق في كتابه «ضياء السياسات» ذكر النص الآتي: "أفتى الحافظ مخلوف البلبالي وقال: الرّق أصله الكفر وكفار السودان كالتصاري إلا أنهم مجوس والمسلم منهم كأهل كانو و كاشنة وبرنو و غوبر وجميع سغي مسلمون، لا يجوز تملكهم إلا أن بعضهم يعتدي على بعض بالإغارة ظلماً كالعرب فيبيعونهم ظلماً ولا تحل تملك شيء منهم ومن عرف أنه من تلك البلاد يترك سبيله ويحكم له بالحرية كما أفتى به فقهاء الأندلس كابن عتاب وغيره، ومن لم يدر هل هو من تلك البلاد أم لا فلا يشتريه من يتحرى السلامة إلا بعد النظر هل هو من تلك البلاد أم لا". (52)

كما ذكر محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي (ت. 1253هـ/1837م) الفقيه مخلوف البلبالي في كتابه «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» الذي يعتبر من أهم المصادر التاريخية التي أرخت عن حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية ودولته، حيث أشار إليه

خلال ترجمته للعاقب بن عبد الله الانصمي الصوفي أحد فقهاء الصحراء الكبرى وبلاد السودان، وذكر بأن هذا الأخير وقع له نزاع حول مسائل فقهية مع الفقيه مخلوف بن صالح البلبالي.⁽⁵³⁾

خاتمة:

يمكن القول في الأخير أن جهود الفقيه مخلوف بن صالح البلبالي في الصحراء الكبرى وبلاد السودان، تعكس لنا شخصية أدت دورا كبيرا في ربط المنطقتين من خلال نشر تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية وتكوين المتعلمين والمتقنين وتنوير الحكام والملوك والسلاطين وتأسيس مؤسسات دينية وتعليمية وثقافية، انعكست كلها في تطوير الجانب الحضاري لتلك المنطقة وتدعيم استمرارية التواصل على المدى البعيد، وكل هذا تجلّى في منطقة بلاد الهوسا بشمال نيجيريا على مدى عدة قرون.

ومن أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث:

- تيبالالة إحدى حواضر الصحراء الكبرى، التي كان لها دور في ربط ضفتي الصحراء الشمالية بالجنوبية، بحيث كانت محطة تجارية بما قصور وعدد من الزوايا، وهي بحاجة لمزيد من البحث والدراسة.
- الفقيه مخلوف البلبالي واحد من علماء الجزائر الذين ساهموا في تكوين المرجعية العلمية في بلاد الهوسا، ولا تزال آثاره الحضارية مستمرة لحد الآن ولو بشكل غير مباشر.
- المدرسة العلمية الجزائرية على وجه العموم وفرعها المالكي على وجه الخصوص، ساهمت في تطوير وتعزيز المذهب المالكي وتأكيد التواصل الحضاري بين الجزائر والأقاليم المجاورة في مختلف العصور، وما جهود الفقيه مخلوف بن صالح البلبالي إلى نموذج من تلك النماذج الكثيرة التي لا تزال بحاجة لتعريفها للباحثين والعوام على حد سواء.

- شخصية مخلوف البلبالي لا تزال غامضة، وبحاجة إلى البحث والتفتيش خاصة في مراكز الأرشفة التي بها مخطوطات الفترة التي عاش فيها، ويمكن أن توجد معلومات أخرى عنه في مخطوطات تمبكتو بدولة مالي الحالية، ودولتي النيجير ونيجيريا.
- ساهمت المصادر التاريخية لعلماء الدولة الصُكنية في حفظ اسم مخلوف بن صالح البلبالي كفقيه مالكي مجتهد، أخذ على عاتقه توضيح حكم تجارة الرق في بلاد السودان.
- تأثر الشيخ عثمان بن فودي وعلماء دولته بالفقيه مخلوف بن صالح البلبالي، هو أبرز دليل على أن هذا الأخير من المراجع العلمية المؤثرة في تاريخ منطقة أفريقيا الغربية.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. المصادر العربية:

1. ابن فودي، عبد الله:

- ضياء السياسات والفتاوى والنوازل مما هو في فروع الدين من المسائل، (2013م)، مخطوط مطبوع ضمن كتاب: مختارات من مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، ج3، تصحيح: محمد مودى شوني د.ط، دار اقرأ ، غدايو - غوسو - نيجيريا.

2. ابن فودي، عثمان:

- أجوبة محررة عن أسئلة مقررة، (2013م)، مخطوط مطبوع ضمن: كتاب مختارات من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، ج2، تصحيح: عبد الله محمد سيفاو ومالم سراج موسى ثلاث مفرا، د.ط، دار اقرأ ، سامرو - غوسو - نيجيريا.

- بيان وجوب الهجرة على العباد، (2013م)، مخطوط مطبوع ضمن: كتاب مختارات من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، ج3، تصحيح: د. ثاني يوسف برنن تد، د.ط، دار اقرأ ، سامرو - غوسو - نيجيريا.

- المسائل المهمة، (2013م)، مخطوط مطبوع ضمن: كتاب مختارات من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، ج3، تصحيح: الأستاذ محمد مودى شوني وسليمان موسى ايثاني، د.ط، دار اقرأ ، سامرو - غوسو - نيجيريا.

3. البرتلي، محمد بن أبي بكر الصديق، (1981م)، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني-محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.
4. بلّو، محمد، (2013م)، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مخطوط مطبوع ضمن كتاب: مختارات من مؤلفات أمير المؤمنين محمد بلّو، ج1، تصحيح: الأستاذ الدكتور سليمان موسى والأستاذ محمد مودى شوني، دار اقرأ، سامرو- قوسو - نيجيريا.
5. التنبكي، أحمد بابا بن أحمد أبو العباس:
 - معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، (2000م)، تحقيق وترجمة: فاطمة الحراق وجون هانويك، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
 - نيل الابتهاج بتطريز الديباج، (2000م)، ط2، تقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، ليبيا.
6. السراج، أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي الملقب بابن مليح، (1970م)، أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب 1040-1042هـ/1630-1633م، تحقيق: محمد الفاسي، د.ط، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس-المغرب الأقصى.
7. سعد، بن عبد الرحمن، ترتيب الأصحاب، مخطوط غير مؤرخ، المركز الإسلامي، جامعة صكتو، نيجيريا.
8. السعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، (د.ت) تحقيق: الدكتور حماد الله ولد السالم، ط1، دار الكتب العلمية.
9. المجذوب، الفاسي عبد الكبير، (1996م)، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، ج2، تحقيق: محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.
10. الوزان، الحسن، (1983م)، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان.

ب. المراجع العربية:

11. الإدريسي، عبد الله حمادي، (2019م)، نبذة مختصرة من تاريخ تلبالة، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر.
12. أكنوي صالح، (1990م)، دخول المذهب المالكي إلى شمال نيجيريا وانتشاره فيه، مجلة دارالحديث الحسنية، العدد 10، المغرب الأقصى.
13. باري، محمد فاضل علي وكريدي، سعيد إبراهيم، (2007م)، المسلمون في غرب إفريقيا - تاريخ وحضارة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
14. الخولي، محمد عبد العظيم، (2011م)، الأزهر الشريف والسودانيون في العصر المملوكي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
15. الزركلي، خير الدين الدمشقي، (2002م)، الأعلام، ج5، ط15، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان.
16. غلادشي، شيوخو أحمد سعيد، (2016م)، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط3، دار الأمة، كانو-نيجيريا، 2016م.

ج. المراجع الأجنبية:

17. W. E. N. Kensdale,(1955), Field Notes on the Arabic Literature of the Western Sudan: Shehu Usumanuḍan Fodio, The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland No. 3/4, pp. 162-168.
18. Isma'il A.B. Balogun, (1973),The Life And Work Of The Mujaddid Of West Africa; 'Uthman B. Fudi Popularly Known As Usumanu Dan Fodio', Islamic Studies, Vol. 12, No. 4 , pp. 282-286.

د. مواقع الانترنت:

19. على موقع: https://ar.wikipedia.org/wiki/اللغة_البلبالية على الساعة 18:39 - 2021/06/22

Une oasis du Sahara nord-occidental, Tabelbala, نقلا من المرجع: Dominique Champault, Paris CNRS, 1969.

20. مقالة بعنوان: "مدينة ولانة الموريتانية.. بوابة الصحراء الكبرى"، على الموقع: على الساعة 14:12 - 2021/06/24

<https://www.amrkhaled.net/Story/1001057/>

الهوامش:

(1) تقع مدينة "تمبكتو" على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف منحى نهر النيجر، وتعتبر هذه المدينة حلقة وصل بين السودان الغربي والصحراء الكبرى، وهي قريبة من نهر النيجر، كانت منذ أول نشأتها مدينة إسلامية وإحدى الحواضر الإسلامية الهامة في غرب إفريقيا، لمع اسمها في العالم الإسلامي وقد تخرج منها علماء ومؤرخون ساهموا في خدمة الإسلام وحضارته. وقد أسسها الطوارق في نهاية القرن (11هـ/11م). أنظر: محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، (2007م)، المسلمون في غرب إفريقيا - تاريخ وحضارة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص: 96-97.

(2) تقع مدينة "كانو" حاليا في دولة نيجيريا، وتعتبر من أهم ولايات الهوسا ومدنها السبعة المشهورة، وقد ازدهرت وصارت مركزا تجاريا هاما في غربي إفريقيا، منذ القرن 15 عشر ميلادي، ويرجع تاريخها المدون إلى القرن العاشر الميلادي، ومن الصعب تحديد فترة دخول الإسلام إلى المدينة، ومن المرجح أن يكون دخوله مبكرا عن طريق التجارة لأنها كانت مركز تجاريا هاما، وتذكر المصادر التاريخية أن أول ملك أسلم في كانو هو الملك الحادي عشر علي ياجي بن ثاميا في النصف الأول من (9هـ/15م) على يد التجار الونجرين. أنظر: شيخو أحمد سعيد غلادنتي، (2016م)، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط3، دار الأمة، كانو-نيجيريا، 2016م، ص: 39-40.

(3) إحدى ولايات الهوسا السبع الأصلية (كاتسينا، كانو، زكرك، دورا، غوبر، غارن غبس، رنو)، ويرجع تاريخ نشأتها إلى القرن الحادي عشر ميلادي، كانت مركزا تجاريا وأول ملك فيها اعتنق الإسلام هو محمد كورو عام 1493م، وقد يكون على يد المغيلي الذي زار المدينة عام 1493م، وبعدها أخذت مركزا مهما في غرب إفريقيا على المستوى التجاري والثقافي بفعل تراجع مكانة تمبكتو، وفي مطلع القرن التاسع عشر خضعت لحكم دولة الشيخ عثمان بن فودي. انظر: نفسه، ص: 43-44.

(4) الدولة الصُكُتية: أسسها الشيخ عثمان بن فودي في إفريقيا الغربية بصفة رسمية عام 1804م، واتخذ من مدينة صكوتو عاصمة له، واستمرت دولته طيلة قرن من الزمن، وحكمها العديد من الخلفاء، وامتدت على أراض ثلاث دول معاصرة (شمال نيجيريا، جنوب بوركينا فاسو، وجنوب شرق النيجر)، إلى أن سقطت بيد الاحتلال البريطاني عام 1903م.

(5) الإدريسي عبد الله حمادي، (2019م)، نبذة مختصرة من تاريخ تلبالة، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، ص: 10.

(6) للمزيد من التفصيل حول هذه القصور وتاريخ تأسيسها ومؤسسيها. أنظر: نفسه، من الصفحة 10 حتى الصفحة 28.

(7) نفسه، ص: 29.

(8) من بين هؤلاء الرحالة نجد: الرحالة الإسباني الميورقي رامون، الإسباني الآخر ابراهيم كراسك، والرحالة التولوزي الفرنسي أنسلم ديزلاكي في رحلته عام (808هـ/1405م)، خريطة اليهودي الميورقي الأسباني ميسيا دو فيلا داست، خريطة الميورقي الأسباني قابريال دو فالسيشا، الرحالة الأوروبي أنتوان مالفون، خريطة الأسباني الميورقي **بيترو روسولي**، الرحالة **حسن الوزان**، الجغرافي الإسباني **مارمول كرنخال**، العلامة المغربي أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي الشهير **بالسراج** الملقب **بابن مليح** في رحلته الحجة أنس الساري عام (1040هـ/1630م)، وغيرهم. أنظر: نفسه، من الصفحة 29 حتى الصفحة 43.

(9) الحسن الوزان، (1983م)، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ص: 129.

(10) أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي الشهير بالسراج والملقب بابن مليح، (1970م)، أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب 1040-1042هـ/1630-1633م، تحقيق: محمد الفاسي، د.ط، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس-المغرب الأقصى، ص: 28.

(11) نفسه، ص: 28.

(12) **اللغة الكورنجية أو البلبلية:** من لغات السنوغي المنتشرة في غرب إفريقيا، وتتبع شطرها الشمالي. وتندرج لغات السنغاي بدورها ضمن عائلة اللغات النيلية الصحراوية، وهي غريبة في أنها قد انزلت في شمال أفريقيا وبالتحديد في واحة تلبالة جنوب ولاية بشار الجزائرية بمحاذاة الحدود الجزائرية المغربية. عدد المتكلمين بها هو في حدود 3300 شخص. لا توجد إلا في الجزائر وينطقها كذلك سكان قصر الخميلة جنوب منطقة تافيلالت المغربية. معنى المصطلح كورنجي هو 'لغة القرية'. تأثرت الكورنجي باللغة العربية وبالبربرية المحيطة. يعود وجودها في هذه المنطقة بالذات إلى استجلاب الفاتحين المغاربة في بلاد السودان لعدد من العبيد وتركهم في هذه الواحات وبقوا يتكلمون لغتهم إلى يومنا هذا. **أنظر: 19. على موقع:** https://ar.wikipedia.org/wiki/اللغة_البلبلية الساعة 18:39-2021/06/22. **نقلا من المرجع:** Une oasis du Sahara nord-occidental, Tabelbala, Dominique Champault, Paris: CNRS, 1969.

(13) الإدريسي عبد الله حمادي ، **مرجع سابق**، ص: 39.

(14) التنبكي أحمد بابا بن أحمد أبو العباس (2000م)، معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تحقيق وترجمة: فاطمة الحراق وجون هانويك، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1: ص: 95.

(15) التنبكي أحمد بابا بن أحمد أبو العباس، (2000م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط2، ص: 608.

(16) المجذوب الفاسي عبد الكبير، (1996م)، تذكرة المحسنين يوفيات الأعيان وحوادث السنين، ج2، تحقيق: محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ص: 871.

(17) هو عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي المسوفي شقيق جدي الحافظ الزاهد الورع الولي، كان -رحمه الله- في غاية الزهد والورع والتوقي قوي الحفظ جداً، درس بولاتن وتوفي بها سنة تسع وعشرين وتسعمائة، مولده سنة ست وستين وثمانمائة، ومن تحريه أنه كان له خادم يبيع اللبن ويجمع ثمنه فباعه مرة بعد المغرب ثم اطلع له على ذلك بعد أن خلط الخادم ثمنه مع غيره من ماله فتصدق بالجميع لأجل تعاطيه البيع بالليل وكان مალأ له بال. **أنظر:** التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، **المصدر نفسه**، ص: 235.

(18) مدينة ولاته، أو كما يحب الموريتانيون تسميتها "بوابة الصحراء"، هي مدينة تقع في محافظة الحوض الشرقي جنوب شرق البلاد. وقد عرفت المدينة قديماً باسم "بيرو" وكانت خاضعة لإمبراطورية غانا، ثم عرفت بعد ذلك باسم "إيولان" أو "ولان" ثم الاسم الحالي: "ولانة". ومنذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي عرفت مدينة "ولانة" بداية نهضة فكرية كبيرة، وأصبحت أحد أهم مراكز الإشعاع الثقافي العربي الإسلامي، وهاجر إليها عدد كبير من علماء تيمبوكتو وفاس وتلمسان ومراكش، كما استقر بها بعض أهالي توات بجنوب الجزائر، وبعض العائدين من الأندلس. ولقد زارها الرحالة ابن بطوطة سنة 753هـ=1352م، ووصف أهلها بأهم محافظون على الصلوات وعلم الفقه وحفظ القرآن، ونوه بدورها الثقافي والتجاري وكرم أهلها. **أنظر:** مقالة بعنوان: "مدينة ولانة الموريتانية.. بوابة الصحراء الكبرى"، على الموقع: على الموقع: الساعة 14:12 - 2021/06/24

<https://www.amrkhaled.net/Story/1001057/>.

(19) يقصد هنا «رسالة ابن أبي زيد القيرواني» للشيخ الإمام الفقيه الحجة «أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني الملقب بمالك الصغير (ت386هـ/996م)»، من أشهر وأنفس ذخائر التراث المالكي، بل المصدر الثالث في المذهب بعد الموطأ والمدونة، والكتيب على صغر حجمه واختصاره، حوى بين دفتيه أربعة آلاف مسألة، يجب على المكلف معرفتها ولا يسعه جهلها، وهذا يدل على أن الفقيه مخلوف البلبالي من علماء المذهب المالكي.

(20) البرتلي محمد بن أبي بكر الصديق، (1981م) **فتح الشكوك في معرفة أعيان علماء التكرور**، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني-محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ص: 146.

(21) محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي، المكناسي ثم الفاسي (مواليد 841 هـ/1437م)، مكناس - توفي 910 هـ/1504م. بفاس) من أعلام المغرب الأقصى، أتقن العديد من ضروب العلم والمعرفة، كالقراءات، والتفسير، والحديث، واللغة والتاريخ والحساب، لكنه اشتهر بالفقه والفتوى، وله مؤلفات كثيرة مثل: «كليات فقهية على مذهب المالكية»، «الروض الممتون» في أخبار مكناسة، و «الفهرسة المباركة» في أسماء محدثي فاس وكنابها، ولم يقتصر ابن غازي على التعليم والتأليف؛ بل انضم لصفوف المجاهدين لحماية الثغور المغربية من الغزاة الأوروبيين. **أنظر:** الزركلي خير الدين الدمشقي، (2002م)، **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 2002م، ج5، ص: 336.

(22) التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، **مصدر سابق**، ص: 608.

(23) محمد عبد العظيم الخولي، (2011م)، **الأزهر الشريف والسودانيون في العصر المملوكي**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص: 47.

(24) **أنظر:** الصفحة 10 من هذا البحث.

- (25) التنبكتي، نفسه، ص: 608.
- (26) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليسيمني الفاسي، من أهل فاس التي ولد وتوفي فيها (898-972 هـ/1492-1564م)، يرجع نسبته إلى (بسيين) إحدى قبائل البربر بالمغرب، من فقهاء المذهب المالكي، من المجتهدين، قضى كل حياته يطلب العلم وكان حريصا على نشر العلم، له تأليف منها: جزء على التاجوري، الرد على مخلوف، الرد على الزقاق، شرح مختصر خليل، تأليف في حقوق السلطان على الرعية وحقوقهم عليه، وغيرها. أنظر: التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج المؤلف، مصدر سابق، ص: 594-595. الزركلي، مرجع سابق، ج6، ص: 6.
- (27) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج المؤلف، مصدر سابق، ص: 596.
- (28) العاقب بن عبد الله الانصمني المسوي من أهل أكلس بلدة قريبة من بلاد السودان، فقيه مالكي، ألف جزء في وجوب الجمعة بقرية "انصمن" خالف غيره من شيوخ بلده وأرسلوه لعلماء مصر فصوبوه، له تعليقات من أحسنها تعليقه على قول خليل، والجواب المجلدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود، وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير أجاب فيها السلطان أسكن الحاج محمد وغيرها، أخذ عن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وعن الإمام السيوطي لما حج وغيرها، لم نعر عن تاريخ وفاته لكن ما هو ثابت أنه كان على قيد الحياة في حدود عام 950هـ. أنظر: نفسه، ص: 353.
- (29) نفسه، ص: 353.
- (30) يسمى باللهجة البلبالية إيامي ويقع على بعد 01 كلم جنوب شرق زكري المسمى بزواية سيدي زكري، كما أنه يقع جنوب غرب قصر الشراعية، وأصول ساكنته متعددة. أنظر: الإدريسي عبد الله حمادي، مرجع سابق، ص: 23.
- (31) نفسه، ص: 26.
- (32) الإدريسي عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص: 26.
- (33) نفسه، ص: 26-27.
- (34) السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، (د.ت) تحقيق: الدكتور حماد الله ولد السالم، ط1، دار الكتب العلمية، ص: 75.
- (35) نفسه، ص: 75.
- (36) أكنوي صالح، (1990م)، دخول المذهب المالكي إلى شمال نيجيريا وانتشاره فيه، مجلة دارالحديث الحسنية، عدد10، المغرب الأقصى، ص: 234.
- (37) شيخو أحمد سعيد غلادني، مرجع سابق، ص: 61-62.
- (38) التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مصدر سابق، ص: 608.
- (39) الخولي محمد عبد العظيم، مرجع سابق، ص: 47.
- (40) عنوانان لكتاب واحد، والكتاب في أصله جواب عن استفتاء مطول، بعثه سعيد بن إبراهيم الجارري إلى فقهاء السودان، وخصوصا أحمد بابا، وتدور أسئلته حول: موقف الفقه المالكي من الرقيق المجلوب من البلاد السودانية المعروفة بإسلامها، ما حكم المشرع من الرقيق المجهول الهوية؟، تبين سيرة النبي وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم في تعاملهم مع الرقيق المجلوب من الحبشة، تنفيذ أسطورة دعاء نوح على ابنه حام وعقبه، الضوابط الأخلاقية للاسترقاق عند المسلمين، استرقاق العرب، وضعية المولدين، وأما

مصادر التنبكي في كتابه هذا، فهي متنوعة منها: نوازل أبي الأصبع ابن سهل، وفتوى مخلوف بن صالح البلبالي حول رقيق السودان، وتاريخ ابن خلدون الكبير المسمى العبر، وكتاب السيوطي في هذا الموضوع المسمى رفع شأن الحيشان، وغيرها. أنظر كتاب: معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق.

(41) التنبكي، معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، مصدر سابق، ص: 19.

(42) **الونغيرين**: يذهب الكثير من الباحثين إلى أنهم أول من نشر الإسلام والمذهب المالكي في بلاد الهوسا، وأصلهم من بلد ونغرا الذي اشتهر بكثرة الذهب وجودته في القرون الغابرة، ويقع على الضفة الغربية لنهر السنغال، وكان تحت حكم مملكة مالي حينما هاجر هذا الوفد من الونغيرين الذين بلغ عددهم أربعين شخصا، قد وصلوا كانوا حينذاك يقودهم عبد الرحمن زيتي، وأول شئ فعلوه في كانوا هو اتصالهم بالملك ودعوته إلى الإسلام وإلى نشره في مملكته وبناء المساجد، وإقامة شعائر الإسلام فقبل الملك ذلك وأسلم، وهذا الملك هو علي ياجي بن ثمايا وهو الملك الحادي عشر الذي حكم خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر ميلادي. أنظر: شيخو أحمد سعيد غلادنتي، مرجع سابق، ص: 40.

(43) ومن بين هؤلاء العلماء نذكر المغيلي المعروف هناك بعلاقته مع سلطان كانوا محمد رمفا، وكذلك أحمد بن عمر بن محمد أقيت (جد أحمد بابا) وعبد الرحمن سقين المغربي. أنظر: التنبكي، معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، مصدر سابق، ص: 19-20.

(44) التنبكي، معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، مصدر سابق، ص: 95.

(45) W. E. N. Kensdale, (1955), **Field Notes on the Arabic Literature of the Western Sudan: Shehu Usmanu dan Fodio**, The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland No. 3/4, pp. 162-168.

(46) Isma'il A.B. Balogun, (1973), **The Life And Work Of The Mujaddid Of West Africa; 'Uthman B. Fudi Popularly Known As Usmanu Dan Fodio'**, Islamic Studies, Vol. 12, No. 4 , pp. 282-286.

(47) محمد نور الدين موسى النيجيري، (2016م)، عبد الله بن فودي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ط1، دار الأمة، كانو-نيجيريا، ص: 33.

(48) خلف عبد الله بن فودي تراثا مخطوطا في شتى أصناف العلوم الإسلامية، حيث ألف في علوم القرآن والتفسير والحديث وعلومه والفقه وأصوله، واللغة العربية نحوها وصرفها وعروضها وقرض شعرها، وألف في العقيدة والمنطق والتاريخ والتراجم والتصوف والسياسة الشرعية والقضاء، ونظم القصائد والكتب في الألفيات، وكتب في السير والتراجم والتاريخ، وغير ذلك من العلوم المعروفة في عصره وبقيته، وله حوالي مائة وسبعين مؤلفا (170) كما ذكر ذلك تلميذه الشيخ سعد بن عبد الرحمن. أنظر: سعد بن عبد الرحمن، ترتيب الأصحاب، مخطوط غير مؤرخ، المركز الإسلامي، جامعة صكتو، نيجيريا، ص: 12.

(49) عثمان بن فودي، (2013م)، أجوبة محررة عن أسئلة مقررة، مخطوط مطبوع ضمن: كتاب مختارات من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، ج2، تصحيح: عبد الله محمد سيفاو ومالم سراج موسى ثلاث مفرا، د.ط، دار اقرأ، سامرو-غوسو-نيجيريا، ص: 163.

(50) عثمان بن فودي، (2013م)، بيان وجوب الهجرة على العباد، مخطوط مطبوع ضمن: كتاب مختارات من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، ج3، تصحيح: د. ثاني يوسف برنن تد، د.ط، دار اقرأ، سامرو-غوسو-نيجيريا، ص: 117.

(51) عثمان بن فودي، (2013م)، المسائل المهمة، مخطوط مطبوع ضمن: كتاب مختارات من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، ج3، تصحيح: الأستاذ محمد مودى شوني وسليمان موسى ايثائي، د.ط، دار اقرأ، سامرو-غوسو-نيجيريا، ص: 311.

(52) عبد الله بن فودي، (2013م)، ضياء السياسات والفتاوى والنوازل مما هو في فروع الدين من المسائل، مخطوط مطبوع ضمن كتاب: مختارات من مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، ج3، تصحيح: الأستاذ محمد مودى شوني د.ط، دار اقرأ، غدايو-غوسو-نيجيريا، ص: 63.

(53) محمد بلو، (2013م)، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مخطوط مطبوع ضمن كتاب: مختارات من مؤلفات أمير المؤمنين محمد بلو، ج1، تصحيح: الأستاذ الدكتور سليمان موسى والأستاذ الدكتور محمد مودى شوني، دار اقرأ، سامرو-غوسو-نيجيريا، ص: 144.